

مهند عبد الحميد (\*)

## تراجيديا الحب اللامقدس (قراءة في رواية «اليهودي الحالي»)

مأثرة كاتبها (علي المقرّي) الإبداعية الذي استحضّر فيها ثقافة حقبة من التاريخ وقام بتفكيكها ثم أعاد بناءها ضمن سرد أدبي فني شيق وجاذب، بالاستناد إلى رؤية فكرية عميقة .

ربط المقرّي أسئلة وأجوبة الماضي بأسئلة وأجوبة الحاضر دون أن ينسى الانفتاح على المستقبل . وقد تناول بمستوى فائق الجرأة، الاضطهاد والنبد والتمييز والكراهية التي تعرض لها اليهود في تلك الحقبة، ويكشف في الوقت نفسه رفض الثقافة اليهودية للآخر، وحقيقة الانكار المتبادل بين منتسبي الديانتين (الاسلام واليهودية) بصرف النظر عن ميزان القوى .

اقتحم المقرّي جدار الكراهية من نقطة قوة حاسمة، هي قصة العشق بين فاطمة المسلمة وسالم اليهودي اللذين توحدوا إنسانيا وثقافيا ولاذا بعيدا عن معمعان الصراع الديني، وقدا نوعا من المصالحة الإنسانية الرفيعة التي لم تمس المعتقد المقدس لكليهما، بل أبقتة مستقلا في ما يشبه الاستثناء في ذلك الزمان، وكأنهما فصلا الحب عن الدين كما فصلت الدولة عن الدين . الحب

الكاتب: علي المقرّي / شاعر وروائي يمني  
الناشر: دار الساقى / بيروت  
الحجم: ١٥٠ صفحة

«ودخلت سنة أربع وخمسين وألف هجرية - ١٦٤٤ ميلادية -، تزوجت فيها حلما لننجب توأمين: أملا وفجيعة». جملة واحدة تكثف رواية «اليهودي الحالي» بأكملها، وتشكل ناظما لها من البداية وحتى النهاية . تدور حرب مفتوحة معلنة وغير معلنة بين الأمل والفجيعة، فما أن تنتهي جولة فيها حتى تبدأ جولة أخرى أشد وقعا وتأثيرا .

«اليهودي الحالي» عمل تراجيدي ينتمي للقرن السابع عشر، لكنه يبدو لقارئ القرن الحادي والعشرين حاضرا وفاعلا، وهذه

(\*) كاتب فلسطيني - رام الله.

والتسامح والعدالة والسلام مذهب فاطمة، بطله الرواية، الذي اعتنقه سالم - اليهودي الحالي، والحالي تعني بالعامة اليمنية «المنح أو الزين»- من خلال قصة حب مستحيلة. مذهب فاطمة وقصة حبها أشعلا الحريق في أوساط الديانتين، كان الأمل الذي ترك بصماته في ذلك الزمان وفي قراء هذا الزمان رغم الفجائع المتلاحقة. ظل الأمل يتفوق أخلاقيا وإنسانيا وعقليا ومعرفيا على الفجيعة التي استمدت قوتها من التخلف والتعصب والكرهية والانعزال. المحبون توحدوا طوال الوقت والكارهون توحدوا أيضا ولكن في الزمن المريض.

حفر المقرري في التاريخ ليكشف الاضطهاد والتخلف والتعصب، وليُعرّف في الوقت ذاته بأشكال الاحتجاج والمقاومة للاضطهاد والتخلف. وعندما يختلط الحاضر بالماضي، وتشابك عناصر اضطهاد وتخلف الماضي وأشكال الاعتراض عليه ومقاومته، بعناصر اضطهاد وتخلف الحاضر وعناصر مقاومته والاعتراض عليه، فإن ذلك يعني أننا أمام عمل إبداعي حقيقي ومدّش.

## الحب المحرم

«ألا يعلمونك يا يهودي الحالي؟ قالت كلماتها بحنان وغنج لم أَلْفهما، وفاجأني بقولها أنها ستبدأ منذ الغد بتعليمي القراءة والكتابة» قال سالم. فاطمة الشابة اليمنية المسلمة تبدأ بإعطاء دروس القراءة والكتابة لسالم الفتى اليمني اليهودي. صرت ألتقى دروسها، كتبت على اللوح (س ا ل م) أعجبني اسمي وهي تنطقه من شفيتها، كنت كمن يكتشف اسمه ووجوده لأول مرة، حفظت صوتها، كنت أردد في بيتنا دروسها: (والشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها... (والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى...)). جن جنون الاب اليهودي الذي كان قد قال لسالم: «تعلم القراءة والكتابة، ولكن حذار من تعلم دينهم وقرآنهم». ما فعلته فاطمة أشعل حريقا في الحي اليهودي. مُنِعَ سالم من الذهاب إلى بيت فاطمة، وفي صباح اليوم الثامن من غياي، يقول سالم، جاءت فاطمة إلى منزلنا! مع أن زيارة مسلمة إلى الحي اليهودي كانت نوعا من المستحيل. خاطبت أبي قائلة: ما

دَرَسْتُه هو علوم اللغة وهي دين وتاريخ وشعر وعلوم، وأضافت يوجد كتب كثيرة في بيتنا لو قرأها المسلمون سيحبون اليهود ولو قرأها اليهود سيحبون المسلمين، وأضافت لكم دينكم ولنا دين، نحن أبناء عم. كان لكلام فاطمة وقع السحر على الأب الذي قال: «كلامك يدخل القلب ويزن العقل، ولا ألف رجل مثلك، ما تريدينه اعمليه، علميه ما تريدين».

رفضت فاطمة الزواج من ابن عمها، وبعد سؤالها لماذا لا تزوجين؟ أجابني بطريقة أخرى، يقول سالم: ناولتني كتاب (طوق الحمامة في الألفة والإلاف) لابن حزم الأندلسي. وقد حولني هذا الكتاب إلى كائن آخر. لا أستطيع أن أحيا بدونك قال سالم وهو يغادر منزلها. من قال أنك سوف تحيا بدوني أو أنني سوف أحيا بدونك، سنبقى معا إذا وثقت بقدرتنا، ردت فاطمة.

كتبت فاطمة رسالة ووضعتها في ثنایا كتاب قدمته إلى سالم وطلبت منه الرد عليها خلال أسبوع، لكنه وبألسوء طالع اكتشفها بعد ثمانية أشهر: جاء في الرسالة: «فكرت في حوادث الدهر ومواعظ التاريخ وتجارب الناس، في سن الثامنة عشرة يتقد الذهن ويقهر كل محال. بعد دراسة أقوال الشريعة التي رأيت فيها بحر اختلاف، كان دليلي لقراري الإمام أبو حنيفة الذي أبهجني بإجازته للمرأة البالغة الراشدة تزويج نفسها بدون ولي أمر. وزادني المجتهد الليب بهاء الدين الحسن بن عبد الله الذي يجيز في تصاريحه المرسلة للمسلمة الزواج من يهودي أو نصراني. استنادا إلى ذلك قررت الزواج منك إذا وافقت على ذلك، وفي هذه الحالة سننتقل للسكن بعيدا عن القرية.

لم تكن فاطمة وطني بل هي بالنسبة إلي البديل من الوطن، هي كل أحلامي، هي الروح والجسد معا عندما يتلازم العقل والرغبة، الأمان والحرية. انبهر سالم بقرار فاطمة وقبّله فورا وهو في غاية الفرح والنشوة، واتفقا على مغادرة القرية في سرية تامة.

توقفت فاطمة عند، تجربة الشاب المسلم «قاسم» ابن صالح المؤذن الذي وجد منتحرا تحت شجرة في الوادي وبجواره ترقد الشابة اليهودية «نشوة» ابنة أسعد بدون حراك، عاشقان انتحرا بسبب رفض أسرتيهما المسلمة واليهودية فكرة زواجهما. وتجربة

«صبا» اليهودية شقيقة «نشوة» التي هربت مع «علي» المسلم شقيق «قاسم» ابن المؤذن. صبا وعلي هربا ولم يتتحرا بعد أن تعلمنا الدرس من التجربة الفاجعة للعاشقين المنتحرين قاسم ونشوة.

بدأت رحلة هرب فاطمة وسالم من قرية «ريدة» إلى صنعاء، رحلة جمعت عاشقين توحدا على الحب والتسامح والسلام والتعايش والمساواة. فاطمة المبتهجة دائما، لأنها لا تشعر بخطيئة في أي عمل تقوم به، ولأنها لا تخالف رغبة روحها وعقلها، وكانت تعتقد ان من ليس لديه حلم فعليه أن ينتحر، لكنها اكتشفت أن الحياة في شروط الصراع والاضطهاد والانتقام هي بحد ذاتها الحلم. وسالم المتيثم للابد بحب فاطمة، يمضي وهو مغمى بالفرح والتفاؤل رغم موت أمه وابيه، يلبي نداء فاطمة بالقول، باسمك أبدا وبه أنتهي يا سيدة الجمال والكمال. أقام العاشقان في منزل خال سالم اليهودي في صنعاء بعد رحلة المغامرة الممتعة والطويلة، تبادلوا فيها الغزل والحب والشعر والغناء، وتبادلوا ركب الحمار تجاوزا للاعراف البالية التي تحظر على اليهودي ركب الحمار في حضرة المسلم. أخفى سالم ديانة فاطمة وهود اسمها لتصبح فيطماء. لكنهما لم يستقرا طويلا في هذا المكان، قبل أن تحل فاجعة موت فاطمة أثناء وضعها للمولود الجديد «سعيد». قال سالم: «في أول يوم أشعر أنني من دوني، بدون فاطمة بدت الأرض كلها قبرا، والحياة كلها موتا، وتساءل، هل يمكن لروح تسكنها فاطمة أن تصاب بالخراب؟ وكيف لي أن أرمم إنشطار الروح وإنشطار الجسد».

اعترف سالم لحاله وللخاخام بأن فاطمة مسلمة، تقديرا لرغبتها التي قبلت إخفاء سالم لهويتها الدينية على مريض. وكان لاعترافه وقع الصاعقة عليهم، فعلى التو، نقلوا جثمان فاطمة المسلمة «الكافرة» من مقبرة اليهود بعيدا إلى خارجها خشية من «تدنيسها». وعندما عاد سالم إلى المنزل فتحت زوجة خاله الباب وسدت مدخله بجسدها، ورمت بملابسهما إلى الشارع قبل ان تقول « اذهب عند أصحابك المسلمين وأعطيهم ابنك المسلم يربونه». طرد سالم شر طردة، وتحول إلى متشرد يحمل ابنه سعيد المولود حديثا، لا يعرف كيف يتصرف معه، ولا إلى أين يذهب. حاول البحث عن أخت فاطمة في صنعاء

وعندما وجد منزلها بعد عناء وطول بحث، رفضت ان تفتح له الباب، فأخبرها من خلف الباب بموت شقيقتها فاطمة، ورجاها بأن تأخذ طفلها وتعني به، ردت عليه: فاطمة ماتت من زمان، يوم تزوجت من يهودي ورحلت معه، ورفضت أن تأخذ الطفل، لأنه كما قالت، يتبع أباه اليهودي ابن اليهودي.

قرر سالم ان يذهب إلى مقر الوالي في محاولة لانقاذ الطفل، ففوجيء بوجود «علي» ابن المؤذن الذي هرب مع عشيقته «صبا» من «ريدة» لحماية حبهما وللحيلولة دون الانتقام. رحب علي بابن بلده المنكوب «سالم» واصطحبه الى البيت، وتولت «صبا» عملية انقاذ الطفل اليتيم «سعيد»، ونجحت في ذلك.

### اضطهاد لا يرحم

ماذا يعني رفض عائلات يهودية ومسلمة ومؤسسات دينية إنقاذ الطفل «سعيد» الذي ماتت أمه أثناء الولادة؟ أقل ما يقال انه الفجيعة الآتية من ثقافة العدا المتوحشة المهددة لنسيج المجتمع ووحدته وتطوره.

سألني الطفل حسين ونحن نلعب سويا في الحارة، من أين أنتم؟ أجبت، من (ريدة) . من هذي البلاد قال سالم. صاح حسين: مش حق ابوك، هذه بلادنا، أنت يهودي كافر، وأضاف أبي قال لي إن اليهود لا يحق لهم أكل الحلوى العدنية. حوار الطفلين حسين وسالم في الحارة، هو امتداد لحوار الكبار. «متى ستخرجون من بلاد العرب، أول كلام أسمعه من مؤذن القرية قال سالم. بعد أيام قالها، متى ترحلون إلى بلادكم . . انتم تقولون بيت المقدس، روحوا إليها أو روحوا حتى إلى جهنم.

لا يجوز لليهودي ركوب الخيل، وركب الحمار مشروط بأن لا يمر اثناء ركوبه من أمام مسلم يكون جالسا، ولا يسمح لليهود ببناء بيوت أكثر من طابق أو طابقين، لا يجوز لليهودي الزواج من مسلمة، ولا ينطق اسم اليهودي إلا بعد الدعاء أعزكم الله وكأنه انسان ناقص، واليهودي كافر عليه قبول التوبة إذا أراد ان يعتنق الإسلام. يستطيع المسلمون ان يعاقبوا او ينتهكوا خصوصية الآخر « كمهاجمة شباب مسلمين الحي اليهودي وتحطيم جميع جرار النبيذ والخمر. «شروط الذمة تكفل لليهود

العيش مع المسلمين، على قاعدة التمييز. والخطر انه غير معترف بمواطنة اليهودي وبانتمائه للوطن الذي يعيش فيه كما ينتمي المسلم ويعيش في وطنه. سؤال الوطن هو الأخطر الذي تم البناء عليه من المراكز والدوائر السياسية الخارجية فيما بعد.

اللحظة الأصعب في حياة يهود اليمن، جاءت بعد أن هدرهم الإمام (المتوكل اسماعيل بن القاسم) بذريعة انهم لم يلتزموا بشروط الذمة التي تكفل لهم العيش مع المسلمين. جاء قرار الإمام على خلفية اعتقاد المؤسسة الدينية اليهودية بظهور المسيح المخلص وبقرب الخلاص وتحقيق الاحلام اليهودية، الحاخام «شبتاي زيفي» المسيح المخلص بعث أحلامهم مجددا بأورشليم، فشرعوا ببيع ممتلكاتهم استعدادا «للعودة»، وقد نظموا مسيرة بقيادة «سليمان الاقطع» لاستلام القصر ونقل الحكم الى اليهود!، غير ان المسيرة تناقصت وعندما وصلت القصر دخل الأقطع وحيدا، ولم يجد شخصا يشاركه. لماذا بعث الاحلام بهذه الطريقة، ولماذا اعتنق المخلص «زيفي» الإسلام بعد ان بعث الأحلام وأجج المشاعر؟ أسئلة تتركها الرواية دون إجابة. لكنها تحدثت عن قيام أهالي كوكبان وشبام من المسلمين بهتك العائلات اليهودية وسلب ما معهم من الأثاث والحلي والأموال. وتضمن الهدر زيادة الجزية عشرين ضعفا، فمات البعض بالجوع، وأسلم كثيرون خوفا من الهلاك، وفوق كل ذلك صدر قرار يقضي بإجلاء اليهود عن اليمن وإزالة كنسهم من الوجود، فدمر الكنيس التاريخي في صنعاء وأقيم مسجد «الجللاء» على أنقاضه. وفي سياق تنفيذ قرار الإجلاء جرى التراجع عن النفي والجللاء بعد ان قطع التنفيذ شوطا. لقد عانى اليهود في تلك الفترة أشكالا بشعة من الاضطهاد والنفي والتشريد على يد حكام اليمن.

بعث الأحلام اليهودية المترافقة مع حديث اليهود عن نقل السلطة لهم وما سيتبع ذلك من هدم المساجد وتحويلها إلى كنس وفرض الجزية على المسلمين، والتعهد بالتمييز ضدهم في المعاملة، وبدء رحلة «العودة إلى أورشليم»، كل هذا كان بمثابة هذيان الضحية التي أصابها نوع من الهستيريا. ولا يمكن للهذيان ان يبرر قرار الهدر والاستباحة والنفي. مفارقة الحدث، أن ما تلفظ به اليهود كأقلية لا تستطيع أن تنفذه ولا بأي حال،

-زحف اليهود الى القصر الذي تمخض عن بقاء الشخص الذي قاد المسيرة وحده!- مقابل ذلك قام حكام اليمن ومعهم الأكثرية الإسلامية بتحويل الهذيان اليهودي الى مأساة يهودية. كم كانت الرواية جريئة في عرض اضطهاد اليهود دون موارد أو تبرير!

### مذهب فاطمة

إن البطل الفعلي في رواية (اليهودي الحالي) هو فاطمة، التي تجسد الوعي ومنظومة القيم التي أراد المقرئ أن يضيء بها الظلام الدامس في حقبة من تاريخ اليمن. أن تكون المرأة هي الوعي الأرقى والأهم، وصانعة تغيير، تغيير الذات والآخر، أن تكون فاطمة داعية للحب والتسامح والتعايش والمساواة، ورافضة للاضطهاد والتخلف والانغلاق والتعصب، فهذا يعني اكبر اختراق لجهة التخلف المتراصة في الماضي بل وفي امتدادها الراهن.

قدمت الرواية فاطمة كقارئة نهمة واسعة الإطلاع، شغوفة بالعلوم وكمفكرة عقلانية، وكمتدبنة متنورة تغلب العقل وتسترشد بكل ما هو متقدم وحي في التراث، يشهد على ذلك المسوغات الدينية العقلانية التي استندت إليها في اتخاذ قرار الزواج. كانت فاطمة ترى أن كل الأرض سواء متساوية كمساواة الإنسان التي عليها. وكان يهملها نقل الوعي إلى المضطهدين، فاختارت سالم اليهودي «الزين»، الذي انجذبت لشخصيته العفوية الودودة، واكتشفت أهليته واستعداداته الفطرية للتطور، الذي ترافق مع حبها له منذ اللقاءات الأولى. في السنة الثانية صرت أجيد القراءة والكتابة باللغة العربية، بدأت أقرأ مخطوطات مختصرة في الفلسفة والفقه الاسلامي وعلم الفلك والطب، يقول سالم الذي فوجيء أيضا بوجود الأسفار اليهودية بين تلك الكتب. وكانت فاطمة قد أجادت اللغة العبرية في أقل من سنة، وطلبت أن تتعلم الشريعة اليهودية لتعرف مدى التوافق بينها وما يكتب عنها في المراجع العربية. فاطمة حولت سالم من فتى لا يعرف أكثر من اسمه واسم العائلة

والقرية الى شخص مثقف وفي مدى زمني قصير نسبيا . القدرة على تغيير الآخر وثيقة الصلة بالقدرة على تغيير الذات . تلك مأثرة فاطمة التي نجحت في تغيير سالم وفي كسب ثقة أبيه اليهودي الذي يخشى الآخر والذي لم يعد يحمل اية كراهية تجاه المسلمين منذ مجيء فاطمة الى بيته في الحي اليهودي وقولها لهم : «انتم أبناء عمومنا وأحبتنا في الله وجيراننا» . وحفزت فاطمة اليهود للبدء بتعلم اللغة العبرية والتخلص من الامية التي كانت سائدة في أوساطهم .

يقول سالم : عندما مات الكلب الذي كان يرافقتي ، أهدتني فاطمة كتاب « فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب » للمرزاباني . وأعطتني كتب : «رسائل لأبي بكر الرازي» و « الطبقات من شعراء اليهود الثقات» هذا الكتاب يعرف بشعراء يهود كتبوا بالعربية منذ العصور السابقة للإسلام وحتى العصر العباسي . بدأ سالم مرحلة المتعة في القراءة . قرأت بتزكية من فاطمة «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم الاندلسي وكتاب «الملل والنحل» للشهرستاني ، وكتاب «عن الاصنام» لابن الكلبي ، و«نصوص الحكم» لابن عربي ، و«ديوان الحلاج» ، إضافة (للقرآن ) . ومن خلال القراءة أصبحت أكتشف من أكون ومن سأكون .

وبدوره شرع سالم بتقديم الكتب العبرية لفاطمة ، قدم لها كتاب « طلب الحكمة » عن فلسفة ابن رشد ليهوذا بن سليمان . وكتاب الشعر العبري « الشمس والأنوار » لسالم الشنبري الشاعر اليهودي المتصوف . «أصبح ما يربطني باليهودية هو ما يربطني بقصائد الشنبري وأناشيد الحب وحكاياته في المزامير والاسفار وباليهود الذين لا أستطيع التخلي عن صفتهم ، وبالمغني حاييم . . . » يقول سالم . المغني حاييم اليهودي الشهير ، رفض تغيير سكنه المجاور للمسجد والذهاب للسكن في الحي اليهودي تَوَلَّاهُ بصوت المؤذن الشجي الذي يطرب القلب ، حاييم لا ينام قبل أن يسمع تسابيح الفجر .

تذكرت حكاية روتها فاطمة عن «محي الدين ابن عربي» يقول سالم : «إذا أردت أن لا تخاف أحدا ، فلا تُخَفْ أحداً .

وتأمن من كل شيء إذا أمن منك كل شيء» هذا هو سر الأمان في النفوس عند الشيخ الأكبر ، الذي شاهد قطيعا من حمر الوحش ترعى ، وكان ابن عربي مولعا بصيدها ، لكنه يومها جعل من قلبه أن لا يؤذي واحدا منها بصيد ، وعندما أبصرها الحصان الذي هو راكبه هَسَّ إليها فمسكه عنها ، وبقي رمحه بيده إلى أن وصل إليها ودخل بينها ، وربما مر سنان رمحه بأسنمة بعضها وهي في المرعى ، فما رفعت رؤوسها ولا فرغت أو هربت حتى تجاوزها ، فقد سرى في نفوس حمر الوحش الأمان الذي كان في نفسه لهم» .

### استقطابان

الحب ، والحرية ، والثقافة الإنسانية العميقة التي استوعبت كل ما هو حي وجمالي في التراث ، ثقافة التسامح والتعايش والتعاون من موقع المساواة ، إنها قصة حب فاطمة وسالم التي انبعثت من على رافعة الثقافة الانسانية ، كانت بمثابة بقعة ضوء ساطعة ، ظلت عصية على الانطفاء ، وشكلت عنصر استقطاب من نوع جديد ، وأشخاص امتلكوا الوضوح بعيدا عن الخداع والخلط والمواربة . استقطاب بدأ في الماضي ويصلح للحاضر ، سيما وأن ثقافة الكراهية ومصالح نظام الحكم والمؤسسات الدينية وحدت في الماضي الكتلتين البشريتين ، ووظفتهما في خدمة مشاريع الاستبداد وتجديد الاضطهاد . في القرن العشرين توحدت انظمة حكم عربية مع الحركة الصهيونية في اقتلاع اليهود من أوطانهم في أكثر من بلد عربي لدعم المشروع الكولونيالي الجديد . الاقتلاع كان يستند الى ثقافة عدم الاعتراف بمواطنة اليمني والعراقي والمصري والمغربي و . . من منتسبي الديانة اليهودية . وسؤال متى ستخرجون من بلاد العرب ؟ ظل يتدحرج منذ القرن السابع عشر وصولا الى القرن العشرين .

قُتِلَ «الساحر اليهودي شمعون» ، صار من المؤكد أن المؤذن وأسعد قاما بقتله لاعتقادهما أنه وراء انتحار قاسم ونشوة ، التوحد هنا يأتي بين المسلم واليهودي من موقع الكراهية والشعور بالخزي المتبادل . وفي مشهد آخر ، «اجتمع يهود ومسلمون

لينفذوا حد الزنى برجم امرأتين يهوديتين بالحجارة حتى الموت، كن ثلاث بائعات هوى، خُيرَ بين الزواج او الرجم، واحدة منهن تزوجت، الجميلة رفضت الزواج وفضلت الرجم على أن يمتلكها زوج، وكذلك المرأة الأخرى». لكن موت الجمال الفاتن بطريقة وحشية كان مؤلماً لشباب يهود ومسلمين على السواء، وحدهم الجمال، وطالبوا أن يرجعوا مع المرأة الجميلة كزناة ولم يستجب لهم.

استقطاب الحرية والحب والتعايش والتسامح والسلام، الذي جسده فاطمة وحافظ عليه سالم وآخرون، وحده يملك الحياة ويحرر البشر من الاضطهاد والعبودية بمختلف أشكالها. واستقطاب الكراهية الذي جسده الامام المتوكل وشبثاي زئيفي والقاضي أحمد بن صالح والمؤسسة الدينية المتطرفة. استقطابان لا يزالان يفعلان فعلهما ويتبادلان الأدوار، الفلسطيني يتحول الى ضحية الضحايا. ثقافة الكراهية لا تنتج غير الاضطهاد والاستبداد حتى لو أسمت ذلك سلاما. وحدها ثقافة الحرية

تملك الحل. الاستقطاب الذي بدأته فاطمة في القرن السابع عشر كان رمزيا، وهو الآن مثلوم ومعطّل، رغم وجود أمثال فاطمة وسالم بالآلاف.

وجدت نفسي أمضي في اتجاهها، وفي اتجاهها ليس أمامي سوى مسامحة من قام بأي خطيئة ضدنا فاطمة وسعيد وأنا فالحب والمسامحة والسلام هو طريق فاطمة.

لم نجد سالم كما لم نجد فاطمة، وجدنا قبريهما مفتوحين وخاليين من رفاتهما. كيف لا أرض تقبل بهما ولا ناس، لا أحد، لا أرض ولا أحد، لا أحد هنا هناك، هناك هنا، لا أدري اليهودي الحالي وفاطمة لم يجتمعا حتى في مقبرة واحدة، كيف تطحن عظامهما وتذر في الريح! هكذا في الريح بلا قبر ولا وطن. أخبرونا أن سعيد ذهب ويده صرة نحو الشرق، آخرون قالوا نحو الغرب، البعض ظن أنه اتجه شمالا، فيما أكد غيرهم أنه مضى نحو الجنوب، قليلون اعتقدوا غير ذلك، غير ذلك تماما.